سُورةُ الشَّمسِ

الجزء الثاني

من الآية (9) إلى الآية (15)

المعنى الإجمالي من الآية (1) إلى الآية (15):

■افتَتَح اللهُ تعالى هذه السُّورةَ الكريمةَ مُقسِمًا بالشَّمسِ وبضَوئِها، وبالقَمَرِ إذا تَبِعَ الشَّمسَ، وبالنَّهارِ إذا أظهَرَ الشَّمسَ وضَوءَها، وباللَّيلِ إذا غَشِيَ الشَّمسَ، فذَهَب بضَوئِها، وبالسَّماءِ وبالَّذي بناها، وبالأرضِ وبالَّذي بسَطَها مِن كُلِّ جانبٍ.

■ثمَّ أقسَمَ الله تعالى بكُلِّ نَفْسٍ وبالَّذي خلَقَها، وعدَّل خَلْقَها، فبَيَّنَ اللهُ للنَّفْسِ طريقَ الخَيرِ والشَّرِّ، والطَّاعةِ والمعصيةِ.

■ثمَّ قال تعالى مُؤَكِّدًا على أهميَّةِ تزكيةِ النَّفسِ: قد فاز مَن طهَّر نَفْسَه ونقَّاها مِنَ الشِّركِ والكُفرِ والمعاصي، ونمَّاها بالإيمانِ والعَمَلِ الصَّالحِ، وقد خَسِرَ وشَقِيَ مَن أخفى نَفْسَه وأرداها بالرَّذائِلِ والعُيوبِ والذُّنوبِ.

■يقولُ تعالى مُبيِّنًا ما حَلَّ بالمكَذِّبينَ السَّابِقينَ: كذَّبتْ ثَمودُ بالحَقِّ الَّذي جاءَهم به رَسولُهم صالحٌ عليه السَّلامُ؛ بسَبَبِ طُغْيانِهم، حينَ نَهَض أشقى قَومِ ثَمودَ لعَقرِ النَّاقةِ، فقال لهم رَسولُهم صالحٌ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: احذَروا ناقةَ اللهِ أن تَمَسُّوها بسُوءٍ، واحذَروا أن تمنَعوها مِن شُربِ الماءِ في يَومِها الَّذي جعَلَه اللهُ نصيبًا لها، فكَذَّبوا نَبيَّهم صالحًا؛ فذبَحوا النَّاقةَ كُفرًا وعِنادًا، فأطبَقَ اللهُ على ثَمودَ العُقوبةَ بسبَبِ عَقْرِهم النَّاقةَ، فسَوَّى بيْنَهم جميعًا في الهَلاكِ، وعَمَّهم بالعذابِ، ولا يَخافُ اللهُ سُبحانَه ما يكونُ مِن عاقِبةِ وتَبِعةِ إهلاكِه لثَمودَ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿9﴾

■الجُملةُ جَوابُ القسَمِ.

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) أي: قد فاز مَن طهَّر نَفْسَه ونقَّاها مِنَ الشِّركِ والكُفرِ، والمعاصي والخِصالِ الرَّذيلةِ، ونمَّاها بالإيمانِ والعِلمِ النَّافِعِ، والأعمالِ الصَّالحةِ والأخلاقِ الحَسَنةِ الحميدةِ. موسوعة التفسير

قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى [الأعلى: 14].

قال ابنُ كثيرٍ: (زَكَّى نَفْسَه، أي: بطاعةِ اللهِ -كما قال قَتادةُ- وطهَّرها مِن الأخلاقِ الدَّنيئةِ والرَّذائِلِ. .... وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا أي: دسَّسَها، أي: أخمَلَها ووضَعَ منها بخِذْلانِه إيَّاها عن الهُدى، حتَّى رَكِبَ المعاصيَ، وتَرَكَ طاعةَ اللهِ عزَّ وجَلَّ).

✍الفلاح : هو الفوز بالمطلوب ؛ وهذا الفوز هنا في الآية محقق ، لأن الآية بدأت بقد (قد افلح) التي تستخدم للتحقيق وبعدها جاء الفعل الماضي الذي يفيد زيادة في التحقيق .

☜هذا الفلاح لا يكون بالمال ولا الحسب، ولا بالنسب ولا المناصب والشهادات، ولا الصدفة ولا الانتساب إلى قبيلة، او أسرة، أو بلد، أو عائلة . وإنما بالتزكية ، والتزكية متاحة لكل أحد من الناس ، لا يتفاضلون بأنسابهم ،ولا أموالهم، ولا أولادهم، ولا بأي متاع دنيوي . وإنما يتفاضلون بالتزكية .

✡والتزكية : تأهيل النفس لتصبح مؤهلة أن تكون في كنف الله في الجنة إلى الأبد .

✡التزكية : هي سمو وتطهير ونمو وزيادة سمواً بالنفس وبالروح إلى سماء الطاعة وفعل الخير ، وتطهير لها من كل الأخلاق الدنيئة و الرذائل ، وكل ما لا يحبه الله سبحانه وتعالى ولا يرضى عنه . ونمواً وزيادةً فلا يبقى الإنسان على حال واحدة وإنما ينبغي أن يكون في كل يوم بازدياد ، والمغبون من تساوى يوماه.

قال أبو الدرداء -τ-: "إِنَّ مِنْ فِقْهِ الْعَبْدِ أَنْ يَتَعَاهَدَ إِيمَانَهُ وَمَا نَقَصَ مِنْهُ، وَمِنْ فِقْهِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَمُزْدَادٌ هُوَ أَمْ مُنْتَقِصٌ؟ وَإِنَّ مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ أَنَّى تَأْتِيهِ؟".

📄قال ابن عثيمين: أنَّ النَّفْسَ أمانةٌ عندَك، يجبُ أنْ تَرعاها حقَّ رعايتِها، وإذا عَصَيتَ ربَّك فإنَّك ظالمٌ لنَفْسِك.

✍المعاصي تُصَغِّرُ النَّفْسَ وتَقْمَعُها، وتُدَسِّيها فتَنخَفِضُ، وتَصيرُ كالَّذي يُدَسُّ في التُّرابِ، وتُحَقِّرُها؛ حتَّى تكونَ أصغرَ كلِّ شيءٍ وأحقَرَه، كما أنَّ الطَّاعةَ تُنمِّيها وتُزَكِّيها وتُكَبِّرُها وتُطَهِّرُها فتَرتفِعُ. الدرر السنية

📄قال ابن عثيمين: فالتَّزكيةُ الَّتي يُحمَدُ عليها الإنسانُ أنْ يَعمَلَ عمَلًا صالحًا تَزْكو به نَفْسُه، والتَّزكيةُ الَّتي يُذَمُّ عليها أنْ يُدِلَّ بعَمَلِه على ربِّه ويَمدَحَ، وكأنَّه يَمُنُّ على اللهِ، يقولُ: صلَّيتُ، وتصدَّقتُ، وصُمْتُ، وحَجَجْتُ، وجاهَدْتُ، وبرَرْتُ والدي، وما أشْبَهَ ذلك! فلا يجوزُ للإنسانِ أنْ يُزَكِّيَ نَفْسَه.

📄قال ابن باديس: المكَلَّفُ المخاطَبُ مِنَ الإنسانِ هو نَفْسُه، وما البَدَنُ إلَّا آلةٌ لها ومَظهَرٌ لتصَرُّفاتِها، وإنَّ صلاحَ الإنسانِ وفَسادَه إنَّما يُقاسانِ بصَلاحِ نَفْسِه وفسادِها، وإنَّما رُقِيُّه وانحطاطُه باعتِبارِ رُقِيِّ نَفْسِه وانحطاطِها، وما فَلاحُه إلَّا بزكائِها، وما خَيبتُه إلَّا بخُبثِها؛ قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا.

■ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ⬅يقابلها ⬅ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا.

■المؤمن ⬅ يزكي نفسه.

■الإيمان⬅ يأتي بالتزكية.

■إحدى عشر قسم في سورة الشمس.

■المقسم عليه النفس، التي ألهمت الميزان الذي تعرف به الخير، والشر، والفجور، والتقوى.

■ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا، نموذج لمن دساها ولوث نفسه، مما نتج عن ذلك انقلاب الحقائق عنده يرى الباطل حق والحق باطل. [... لا يَعرِفُ مَعروفًا ، ولا يُنكِرُ مُنكَرًا ، إلا ما أُشْرِبَ من هَواه...]

■أما صاحب الفطرة السوية يحب الطهارة والتقوى ولو أخطأ، لأن معه نفس لوامة ترشده إذا حاد عن الطريق الصحيح.

☜إذن لتحقيق الإيمان يجب علينا تزكية النفس.

🖗جاءت نسبة التزكية على عدة أوجه:

❶مرة تنسب إلى العبد على أنه فاعل يقوم بالتزكية يكتسبها يسير في طريقها، والدليل قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) [المؤمنون:4].

❷ومرة تنسب إلى الله لأنه سبحانه يعين العبد ويدله ويهديه ويوفقه لذلك والدليل قوله تعالى: (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ) [النساء:49]

❸ومرة تنسب الى النبي –ﷺ– لأنه وصف للناس الطريق الذي يصلوا به الى التزكية، والدليل قوله تعالى: (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [الجمعة:2]

❹واستخدام الطاعات القلبية والبدنية كالآله لتنفيذ التزكية.

❺أهم شيء في قلبي يقين أن الله وحده سبحانه المتفضل على عباده بالتزكية، والدليل قوله تعالى: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [النور:21]

✉أصبح هناك أربع خطوات لتزكية:

❶أنت طالب التزكية.

❷والله سبحانه وتعالى فاعلها، فندعوه ونسأله سبحانه أن يزكينا ويطهرنا "اللهمَّ آتِ نفسي تقواها، وزَكِّهَا أنت خيرُ من زَكَّاهَا، أنت وَلِيُّهَا ومولاها".

❸ ونتبع سنة النبي –ﷺ– ونعلم أن بدونها لن تحصل التزكية.

❹ونفعل العبادات الباطنة والظاهرة من أجل تزكية أنفسنا، ومزاحمة الحق للباطل، واليقين بأن الله هو المعين على ذلك.

✍التزكية ⬅التخلية والتطهير من الأخلاقِ الدَّنيئةِ والرَّذائِلِ ⬅ثم التحلية والنماء بالأخلاق الحميدة والفضائل، ولن يفلح بذلك إلا من استعان بالكتاب والسنة ويصب العلم على قلبه صباً صباً.

🖗وطريق التزكية أمران : (التخلية والتحلية) التخلية للقلب والتحلية له أيضاً وللجوارح واللسان لن تكون زاكياً حتى تخلي قلبك وتطهره من الشرك والكفر والحسد والحرص وسوء الظن والكبر، والرياء ثم تحليه بالإيمان والصدق والرجاء وحسن الظن والتوكل والحب والانابة والخشية ، لن تكون زاكياً حتى تخلي لسانك من الكلام الخبيث والفحش والمنكر والغيبة والنميمة والباطل وتحليه بالقول الحسن والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر والنصح للمسلمين وتبتعد عن فضول الكلام وفضول السؤال لن تكون زاكياً حتى تبعد جوارحك عن فضول النوم وفضول الخلطة وفضول النظر وفضول الطعام وفضول الدنيا وترك الزنا والفواحش ، وتحلي هذه الجوارح بالطيبات من الصيام والصلاة والعمرة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإن قلت : هذا شديد وهذا صعب ! نعم .. إنه صعب لأنه عقبة ، ينبغي أن يقتحمها الإنسان ، وطريق الجنة مليء بالعقبات، ولكن المؤمن يستعين على اقتحام هذه العقبات بالله سبحانه وتعالى "فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ... وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ".

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ﴿10﴾

(وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) أي: وقد خَسِرَ وشَقِيَ مَن أخفى نَفْسَه وقَمَعَها وحقَّرها وأرداها بالكفرِ والرَّذائِلِ والعُيوبِ، ودنَّسَها بالسَّيِّئاتِ والذُّنوبِ. موسوعة التفسير

☜إثباتٌ لفِعلِ العبدِ والوَعدِ والوعيدِ بفلاحِ مَن زَكَّى نفْسَه، وخَيبةِ مَن دَسَّاها، رد على الفرق الضالة من القدرية والجبرية، فالعبد له فِعلًا اختياريًّا يُثابُ عليه ويُعاقَبُ.

جاء جواب القسم : " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" وهنا سبحانه وتعالى قدم التزكية على التدسية لان المقام هنا ليس وصفًا للنفس التي تميل دائما للسوء وإنما المقام مقام تعليم وأمر وفي التعليم يقدم الخير ليكون أدعى للقبول عند الناس. وأما في الآية السابقة " فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" قدم الفجور وبدأ به على التزكية لأن الأصل في النفس الميل الى الفجور والشهوات واللذات.

وقد خاب من دساها : اي دساها في الأرض وحقر من شأنها وأذهب فوائدها وذهب بها مذهب الفجور والشهوات ونزل بها الى الطين فجعلها خسيسة حقيرة لا قيمة لها، شهوات الجسد إذا أطاعها واتبع هواه تجعله كالأنعام يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ، يركب مركب المعاصي والموبقات التي تجعل النفس في الحضيض وتجعل الانسان يخسر نفسه ومن فعل ذلك فهو احمق جاهل لان في ذلك خسارة أبدية لا يمكن ان تعوض " قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ".

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ ﴿11﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال أبو حيان: لَمَّا ذَكَر تعالى خَيبةَ مَن دَسَّى نَفْسَه؛ ذَكَرَ فِرقةً فعَلَت ذلك؛ ليُعتبَرَ بهم

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) أي: كذَّبت ثمودُ بالحَقِّ الَّذي جاءَهم به رَسولُهم صالحٌ عليه السَّلامُ؛ بسَبَبِ طُغيانِهم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [فصلت: 17] .

✉يضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً لمن طغى وبغى ولم يطهر نفسه من دنس الكفر والمعصية وابتعد بها عن طريق الهدى.

☜هذا المثل تحذيراً لأهل مكة ، وعبرة لمن جاء بعدهم[قصة ثمود] التي كان لها تقدم وكان لها حضارة وكان لها سطوة وقوة، ولكن لم يغن عنهم شيئاً عندما أتى أمر الله عليهم بالهلاك والتدمير بسبب عصيانهم وطغيانهم، '' دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا''.

🡄دمرها الله سبحانه وتعالى بكل ما فيها ومن فيها وسواها في الأرض فلا ترى فيها داراً ولا ديّاراً .

''وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ'' .

✡ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا : الطغيان هو مجاوزة الحد والقدر، ومن جاوز الحد والقدر فقد طغى .

✍ وفي الآية تعريض بتهديد المشركين الذين كذبوا برسول الله طغياناً وبغياً، كما كذبت ثمود رسول الله طغياناً وبغياً ، وليس لأنه لم يبن لهم الحق أو لم يرسل الله الآيات فقد جاءتهم آية من أعظم الآيات طلبوا من الرسول أن يخرج لهم ناقة من الجبل ، فأخرج الله لهم ناقة وحذرهم نبيهم صالح من عقرها .

﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ ﴿12﴾

(إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا) أي: حينَ نَهَض أشقى قومِ ثَمودَ لعَقرِ النَّاقةِ الَّتي جعَلَها اللهُ آيةً عَظيمةً لهم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا [الإسراء: 59].

وقال سُبحانَه: إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ [القمر: 27 - 29].

وعن عبدِ اللهِ بنِ زَمْعةَ رضيَ الله عنه، قال: ((خطَبَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فذكَرَ النَّاقةَ، وذكَرَ الَّذي عقَرَها، فقال: إذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا: انبَعَث بها رجُلٌ عزيزٌ عارِمٌ مَنيعٌ في رَهْطِه، مِثلُ أبي زَمْعةَ) .

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ ﴿13﴾

(فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا) أي: فقال لهم رَسولُ اللهِ صالحٌ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: احذَروا ناقةَ اللهِ أن تَمَسُّوها بسُوءٍ، واحذَروا أن تَمنَعوها مِن شُربِ الماءِ في يَومِها الَّذي جعَلَه اللهُ نَصيبًا لها. موسوعة التفسير

وقال سُبحانَه: قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ [الشعراء: 155-156] .

🗀اي احذروا ناقة الله وسقياها وأضاف الله سبحانه وتعالى الناقة الى نفسه لتدل على صدق صالح ولأن خروجها من الصخر كان معجزة وكانت هذه الناقة لها شرب يوم تشرب فيه ولهم شرب يوم معلوم أيضاً ، فكانت ترد الماء في يوم شربها فتشربه كله ثم تسقي جميع أهل القرية اللبن، ويشربون هم في اليوم الاخر، فكذبوه بعد رؤية الآيات الواضحات بما جاءهم وعقروا الناقة حيث انبعث أشقاها : أشقى القوم وكان

عزيزاً شريفاً في قومه مطاعاً فعقر الناقة ورضي القوم عن فعلته وسكتوا ما فعل ولم يأخذوا على يد الظالم فكانت العاقبة : '' فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا'' قال سبحانه وتعالى فدمدم عليهم ربهم وهو موطن عذاب ليشير أنهم قد بلغوا مبلغاً من الطغيان والعتو حتى رحمة الله الواسعة لا تصلح لهم في هذا المقام وفي هذا درس بأن الذنوب تنزل بالعقوبات.

قال ابن القيم: والمضافُ إلى الله سبحانَه نوعانِ: صفاتٌ لا تقومُ بأنفسِها، كالعِلمِ والقُدرةِ والكلامِ والسَّمعِ والبصرِ، فهذه إضافةُ صفةٍ إلى الموصوفِ بها، فعلمُه وكلامُه وإرادتُه وقدرتُه وحياتُه صفاتٌ له غيرُ مخلوقةٍ، وكذلك وجهُه ويدُه سبحانَه.

والثاني: إضافةُ أعيانٍ منفصلةٍ عنه، كالنَّاقةِ والبيتِ والعبدِ والرَّسولِ والرُّوحِ، فهذه إضافةُ مخلوقٍ إلى خالقِه، ومصنوعٍ إلى صانعِه، لكنَّها إضافةٌ تقتضي تخصيصًا وتشريفًا يتميَّزُ به المضافُ عن غيرِه، كبيتِ الله، وإن كانت البيوتُ كلُّها مِلكًا له، وكذلك ناقةُ الله، والنُّوقُ كلُّها مِلكُه وخلقُه، لكنْ هذه إضافةٌ إلى إلهيتِه تقتضي محبتَه لها وتكريمَه وتشريفَه، بخلافِ الإضافةِ العامَّةِ إلى ربوبيتِه حيثُ تقتضي خلقَه وإيجادَه.

قال ابن عاشور: وأيضًا إضافةُ (ناقة) إلى اسمِ الجَلالةِ؛ لأنَّها آيةٌ جَعَلَها اللهُ على صِدقِ رِسالةِ صالحٍ عليه السَّلامُ، ولأنَّ خُروجَها لهم كان خارقًا للعادةِ.

قال أبو السعود: وعُبِّرَ عن صالحٍ عليه السَّلامُ بعُنوانِ الرِّسالةِ رَسُولُ اللَّهِ؛ إيذانًا بوُجوبِ طاعتِه، وبَيانًا لغايةِ عُتُوِّهم وتَمادِيهم في الطُّغيانِ، وهو السِّرُّ في إضافةِ النَّاقةِ إلى اللهِ تعالَى في قولِه تعالَى: نَاقَةَ اللَّهِ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ ﴿14﴾

(فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا) أي: فكَذَّب كُفَّارُ ثمودَ نَبيَّهم صالِحًا؛ فذبَحوا النَّاقةَ كُفرًا وعِنادًا. موسوعة التفسير

أنَّ القومَ لَمَّا كانوا راضِينَ، ونادَوا العاقِرَ فعَقَرَها وَحْدَه؛ كان هذا باسمِ الجَميعِ ، فكانت العقوبةُ باسمِ الجَميعِ. الدرر السنية

كما قال الله تبارك وتعالى: فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ [الأعراف: 77-78] .

(فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا) أي: فأطبَقَ اللهُ على ثَمودَ العُقوبةَ بسببِ عَقْرِهم النَّاقةَ، فسَوَّى بيْنَهم جميعًا في الهَلاكِ، وعَمَّهم بالعذابِ؛ فلم يَنْجُ منهم أحَدٌ. موسوعة التفسير

وإنذارٌ عَظيمٌ بعاقِبةِ الذَّنْبِ، فعلى كلِّ مُذنبٍ أنْ يَعتبِرَ ويَحذَرَ.

الدمدمة : هو عذاب باستئصال ، أتى العذاب على الجميع .

العذاب تساوى فيه الجميع.. من شارك ، ومن لم يشارك .. الصغير والكبير.. لأن الكل صمت، والكل وافق، والكل سكت، المجتمع هو عبارة عن سفينة ونحن جميعاً ركاب هذه السفينة فأي خرق أو ثقب في السفينة فيدخل إليها الماء ويغرق الجميع . إذاً الواجب الأخذ على أيدي العصاة ومن يسوق لهم،

ومن ينشر الرذيلة، ومن يبعد الناس عن الفضيلة، والدين يؤذون المجتمع بأكمله، فيجب أن يؤخذ على أيديهم حتى لا تعمنا العقوبة.

قال ابنُ جُزَي: (فَدَمْدَمَ عبارةٌ عن إنزالِ العَذابِ بهم، وفيه تهويلٌ بِذَنْبِهم، أي: بسَبَبِ ذَنْبِهم، وهو التَّكذيبُ أو عَقْرُ النَّاقةِ فَسَوَّاهَا قال ابنُ عَطيَّةَ: معناه: فسَوَّى القَبيلةَ في الهلاكِ، لم يُفلِتْ أحَدٌ منهم).

قال ابنُ عاشور: (المرادُ بهذه الدَّمْدَمةِ صوتُ الصَّاعقةِ والرَّجفةِ الَّتي أُهلِكوا بها... وقال أكثَرُ المفسِّرينَ: دَمْدَمَ عليهم: أطبَقَ عليهم الأرضَ... ومَن فَسَّروا «دَمْدَمَ» بمعنى: أطبَقَ عليهم الأرضَ، قالوا: معنى «سَوَّاها»: جعَلَ الأرضَ مُستويةً عليهم، لا تظهَرُ فيها أجسادُهم ولا بلادُهم...).

وقيل : سواها : أي سواها بالأرض ، جعلها مستوية مرة أخرى طاهرة نظيفة من الفساد لأن للطغيان دورة ثم تسوى الأرض به وبأهله لتبدأ دورة جديدة .

كما قال تعالى: وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ [هود: 67-68] .

وقال سُبحانَه: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ [الحجر: 83] .

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ﴿15﴾

(وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) أي: ولا يَخافُ اللهُ ما يكونُ مِن عاقِبةِ وتَبِعةِ إهلاكِه لثَمودَ. موسوعة التفسير

قال ابنُ كثيرٍ: (قال ابنُ عبَّاسٍ: لا يَخافُ اللهُ مِن أحَدٍ تَبِعةً..... وقال الضَّحَّاكُ والسُّدِّيُّ: وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا أي: لم يَخَفِ الَّذي عَقَرها عاقِبةَ ما صنَعَ. والقَولُ الأوَّلُ أَوْلى؛ لدَلالةِ السِّياقِ عليه. واللهُ أعلَمُ).

وهو سبحانه -Y- : لا يخشى عقبة قرار يتخذه لأن أولاً هو رب هذا الكون ومليكه لا شريك له في ملكه ولا منازع له في سلطانه له الملك والأمر ، يفعل ما يشاء وقت ما يشاء ، لا يخشى التبعة المساءلة لأنه سبحانه " لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ" ثم إن قراره هو العدل المطلق الذي ليس فيه أي جورٍ أو ظلمٍ ؛ فهو الرب المقسط الذي لا يظلم عنده أحداً سبحانه وتعالى .

قال -Y- : "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً" فلا نستغرب ما تعاني مجتمعاتنا اليوم من البلايا والمصائب والرزايا من الأمراض والأوبئة و البراكين والزلازل والحرائق وغلاء الأسعار وشح المواد والحروب والقتل والتدمير وقلة الأمن والأمان، وكثرة الشقاء ،والحرمان، والهموم .

فهذه سنة الله في الأمة العاصية "وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا"، "إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم" ، " وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ "أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ".

قال-ρ-:" مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا

خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا" صحيح البخاري.